الجرد الوطنيّ للتّراث الثقافيّ اللاّمادّي

بطاقة جرد عنصر رقم 2/069

1- تحديد العنصر

- اسم العنصر

"العود: الممارسات والمهارات وفنون العزف".

- أسماء أخرى متداولة في المجتمع المحلّي

العود " العربي" أو العود "التونسي"

- الإطار الجغرافيّ لانتشار العنصر

تعدّ آلة العود بشكل عام من أهمّ الآلات الموسيقيّة ورمزا للموسيقي العربية القديمة والحديثة. أما العود "العربي " أو "التونسي " فيستعمل في تونس وفي الجزء الشرقي من الجزائر غير أنّ استعماله تقلص لفائدة العود الشرقي.

- مجال أو مجالات انتماء العنصر

- الفنون وتقاليد أداء العروض .
- التقاليد الشفويّة وأشكال التعبير الشفويّ بما في ذلك اللغة.
- الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات.

2- وصف العنصر

- الوصف التّفصيليّ

يرجّح بعض الباحثين أنّ أصل التسمية العربية لآلة "العود" تنسب إلى المادة الأوليّة التي صنعت منها، أي الخشب، بينما يرجّح شقّ آخر بأن تسميته تنسب إلى المدرسة العوديّة العربية التي ركّزها زرياب بالأندلس.
ينتمي العود إلى الآلات الوتريَة التي تعتبر من الآلات الرئيسيَة في الجوق التقليدي التونسي للمالوف حيث يعتمد عليه في تنفيذ الموسيقي التقليديّة، فهو يرافق الغناء ويؤمّن الإجابة على ارتجال القصائد.
وعلاوة على وظيفته المزدوجة اللّحنيَة والإيقاعيَة، يضطلع العود بوظيفة أساسيَة تتمثّل في عزف الاستخبار وهي تسمية خاصَة بالارتجال الآلي والتقسيم الذي هو قالب موسيقي آلي يظهر العازف من خلاله خصائص المقام المسمَى الطّبع عبر توظيف وحدات لحنيَة إيقاعيَة خاصَة ومميّزة للطبع.

ويتكوَن العود التونسي من أربعة أوتار مزدوجة تستمد تسميتها من أسماء الطبوع التونسية مثل الذيل والماية والحسَين والرمل وهو مدعّم بحزام من الجلد يحيط بنصف أطرافه ويبلغ طول الذراع 24 صم مثلا 5/3 بالنسبة إلى طول الوتر (أطول من العود الشرقي).
وتعدَل الأوتار حسب الطَبوع التي تؤدَى. ثمَة تقنيات مختلفة في العزف عليه منها المراوحة في الجمل بين الجواب والقرار والقفز بين الأوتار والرَنين المميَز للأوتار المطلقة.
وتجدر الإشارة بأنّ مسألة تسوية الأوتار بقيت مجهولة المصدر والزمان الذي وجدت فيه، حيث أنّ الاتجاه المميّز الذي اتخذه تعديل العود التونسي بصفة عامة يختلف عن التعديل المستعمل في العود الشرقي.
وفضلا عن ذلك يختلف العود التونسي عن العود الشرقي من حيث الحجم والشكل والزَينة وعدد الأوتار، فهو يتميَز بصغر حجم صندوقه الصَوتي كما يحتوي على ثلاثة فتحات بها نقوش وزخارف عربية لا تختلف عن تلك التي نجدها بالعود الشرقي وتسمَى الشَماسي أو القمرات، وهي فضلا عن قيمتها الجمالية لها قيمة وظيفيَة بما أنَها تزيد في صوت النغمات.
وتختلف طريقة العزف على العود التونسي عن الطريقة المعتمدة في العزف على العود الشرقي، وذلك بالإكثار من الغفق أي الصعود الى درجات الجواب ومحاكاة الايقاع مع أداء اللّحن في الآن ذاته.
تصنع آلة العود من نوع خاصَ من الخشب الذي يطوَع بواسطة النار ليأخذ شكل القالب المخصَص له ويسمَى الصندوق الصوتي أو القصعة. ثمَ يركَب وجه العود الذي يكون مجهَزا بثلاث فتحات، ليتمَ فيما بعد تركيب زند العود أو كما يسمَى لدى بعض الحرفيين الرَقبة، وذلك قبل المرور إلى طلاء كامل الآلة بألوان عادة ما تتراوح بين البنيَ والأصفر حسب ذوق الحريف. تأتي بعد ذلك عمليَة تثبيت الأوتار والمفاتيح التي تسمَى "الملاوي" وبها تشدَ الأوتار التي كانت تصنع من أمعاء الحيوانات قبل أن يستعاض عنها بمادة النيلون.
ورغم انتشار آلة العود، فإنها عادة ما تلتصق بالمدن كمظهر مظاهر فنيّ يميّز الجماعات والمجموعات الحضرية عن نظيراتها الريفية والبدوية، حيث يعدّ محور الفرق الموسيقية التقليدية التي تؤمّن الاحتفال بشتى الأفراح والمناسبات العائلية والاجتماعية السارة، حتى أنّ حضوره يقترن في التمثّلات الشعبية بالبهجة في أجواء احتفالية موسومة بالزخم الاجتماعي. وثمّة فرق خاصّة لذا الغرض تعرف "بالعوّادة" التي باتت تخرج عن أطرها التقليدية المعروفة لتخرج إلى المهرجانات والفضاءات الثقافية والفنادق والمطاعم لتؤثّث مجالس ومناسبات وفعاليات احتفالية وغيرها في سياق ديناميكية جديدة مرتبطة بإعادة اكتشاف هذا التراث من قبل فئات جديدة من الشباب والفنانين والمثقفين.

- العناصر الماديّة واللامادية المصاحبة للممارسة أو المهيكلة لها (الفضاء/ الأزياء/ الأدوات...)

لا توجد فضاءات محددة أو أزياء موحدة لعازفي العود "العربي" في تونس، بل إن اختيار الزيّ موكول الى العازف الذي كثيرا ما يميل الى ارتداء اللباس التقليدي على غرار الفنان زياد غرسة وعازفي فرقة الرشيديّة بتونس ونادي خميس ترنان ببنزرت.

- الممارسات العرفية التي تنظّم أو تمنع الوصول إلى العنصر

لا توجد ممارسات تمنع الوصول الى هذا العنصر.

- كيفيّة التعلّم وطرائق النشر بين الأعضاء والتمرير للنّاشئة

تختلف اشكال التعلّم من شخص الى آخر إذ يمكن تعلّم العزف على الة العود من خلال الاتصال بمعلم محترف مشهود له بالكفاءة ويمتلك خبرة في اللّعب على آلة العود كما يمكن تعلّم العزف في مدارس الموسيقى أو في الأكاديميات الموسيقية.
ويمكن التعلّم أيضا من خلال التسجيل في دورات تدريبية لتعليم العود إما في معاهد الموسيقى الخاضعة

لإشراف وزارة الشؤون الثقافية Conservatoires أو في مدارس خاصة أو على يد معلمين ومدربين خصوصيين. وعلاوة عن ذلك، يبدو من البداهة اقتناء آلة العود التى يمكن العثور عليها في متاجر الآلات الموسيقية المحليّة، هذا فضلا عن الالتزام بالممارسة اليومية لتحسين المهارات في العزف على آلة العود والمشاركة في الفعاليات الموسيقية المحلية والجهوّية والوطنيّة.

3-الفاعلون المعنيون بالعنصر

- حملة العنصر من الممارسين له بشكل مباشر

لئن كان العنصر واحدا، فإن العلاقة به تتخذ أشكالا مختلفة تبعا لتنوع الجماعات والمجموعات المرتبطة به وعلى رأسها نجد العازفين المختصين في العود حيث يمثل بالنسبة إليهم الأداة المعتمدة في تنفيذ تشكيلة من الألحان والأغاني لا سيما في إطار موسيقى المألوف، كما نجد الحرفيين المختصين في صناعة العود وهم فئة خاصة تؤمّن صناعة العود محليا في ورشات خاصّة معدة للغرض بعضها موجود داخل نسيج المدن العتيقة مثل مدينة تونس، وذلك باستخدام تقنيات ومهارات متوارثة أحيانا في نطاق العائلة مثل عائلة بالأصفر.
يضاف إليهما الفرق الموسيقى المحترقة والهاوية المختصة في موسيقى المألوف مثل تلك تنسب إلى الفنان التونسي زياد غرسة المعروف باعتماد النمط الموسيقى التقليدي الذي كان والده الطاهر غرسة قد عرف به هو الأخر.
وثمة أيضا الأساتذة والمكونين في العزف على العود في المعاهد العليا للموسيقى أو تلك المراكز الجهوية التابعة لوزارة الشؤون الثقافية، دون أن ننسى الجمهور العريض المغرم بالمألوف والذي لا يستقيم بدون آلة العود، حيث تكون المهرجانات مناسبات يتجلى فيها الإقبال المتزايد على الفن الذي يكرسه العود على صعيد العزف كما على صعيد الغناء.

- مشاركون آخرون

كل الفئات الاجتماعيّة التي تفضّل هذا النمط الموسيقي عن غيره، ونعني الجمهور العريض، حيث يلاحظ تزايد الإقبال على العنصر لما يكرّسه من قيم وأبعاد فنية وثقافية واجتماعية باعتباره عنوان هويّة، من ذلك ما يحظى به من اهتمام في المدن والقرى التي ارتبطت بالأندلسيين مثل تستور وبنزرت وزغوان.

- منظّمات غير حكوميّة/ المجتمع المدنيّ

كلّ جمعيّات المجتمع المدني المهتمّة بمجال الموسيقى بشكل عام معنيّة بهذا العنصر على غرار جمعية "قرطاج للمالوف والموسيقى التونسية" والمعهد الرشيدي للموسيقى التونسية أو المدرسة الرشيدية و"بيت المالوف الطاهر غرسة" وجمعيّة مهرجان تستور الدولي للمالوف والموسيقى العربية التقليدية وجمعيّة الكندي للموسيقى بقابس.

- هيئات رسميّة

وزارة الشؤون الثقافيّة / المعهد الوطني للتراث / مركز الفنون والثقافة والآداب "القصر السعيد"/ مركز الموسيقى العربيّة والمتوسّطيّة بقصر النجمة الزهراء بتونس/ المعاهد العليا للموسيقى في تونس والمعاهد الجهوية للموسيقى في تونس على غرار "المركز الوطني للموسيقى والفنون الشعبيّة سيدي صابر" والمعهد الوطني للموسيقى صالح المهدي، وكل دور الشباب والثقافة من خلال بعث نوادي موسيقية بها.

4- مدى قابليّة العنصر للاستمرار: العراقيل والتهديدات

أدّى ارتباط العود التونسي بفرقة الرشيدية وبجمعيات المالوف إلى الحدّ من انتشاره وتطوره إذ حافظت الآلة على تركيبتها الهيتيروفيّة (ذات الأربعة أوتار مزدوجة) دون التفكير في إعادة ترتيب الأوتار أو إضافة اوتار أخرى من شانها إعطاء العازف مساحات صوتية أكبر وفرص أكبر لأداء ألوان فنّية جديدة وبالتالي انفتاح الآلة على انواع موسيقية أخرى.
وعلاوة على ذلك يشتكي هذا المجال من قلّة المختصّين في العزف على هذه الآلة بالإضافة الى ندرة الكتب والمراجع التي تناولتها بالبحث. إذ بالرغم من تنوّع أساليب العزف لا توجد الى حدّ الآن مناهج أو دراسات مستفيضة لتعليم العزف على آلة العود التونسي.

5- برامج التّثمين وإجراءات الصّون

من بين هذه البرامج والإجراءات نذكر:

- ✓ تنظيم وزارة الشؤون الثقافيّة للمهن الفنيّة من خلال سنّ قانون الاحتراف الفنّي لسنة 1969 وهو قانون يخول للممارسين الحصول على بطاقات مهنيّة للاحتراف وإثبات تخصصاتهم الفنيّة (عزف او غناء)
- ✓ إدراج تعليم العزف على العود ضمن مناهج التعليم الرسمية بمختلف المؤسسات الجامعية الحكومية المختصة في العلوم الموسيقية مثل جامعات تونس وسوسة وصفاقس وقابس.
- ✓ تكفّل وزارة الشؤون الثقافية بتأمين برامج خاصة بتعليم مهارات العزف على العود للأطفال والشباب في إطار المعهد الوطني للموسيقى والرقص المعروف بـ Conservatoire ومختلف المعاهد العمومية المشابهة المنتشرة بمختلف المحافظات، إضافة إلى المركز الوطني للموسيقى والفنون الشعبية بتونس.
- ✓ بعث المهرجان الوطني لآلة العود سنة 2021 الذي سرعان ما تحوّل إلى مهرجان دوليّ.
- ✓ تنظيم معرض لآلات العود سنة 2022 بدار الثقافة الطاهر الحداد بالمدينة العتيقة بتونس.
- ✓ بعث ورشة لصناعة الآلات الموسيقية التقليدية، ولا سيما العود، بمركز الموسيقى العربية والمتوسطية النجمة الزهراء، وذلك بالتعاون مع الحرفيين المعروقين في هذا المجال.
- ✓ إنشاء متحف للآلات الموسيقية بمركز الموسيقى العربية والمتوسطية النجمة الزهراء.
- ✓ تنظيم مسابقات وطنية للعزف على آلة العود التونسي.
- ✓ تنظيم ورشات تكوينية في صناعة العود لفائدة الشبان بين 18 و30 سنة خلال شهر جانفي 2018 تحت إشراف الحرفي الهادي بالأصفر بمركز النجمة الزهراء.
- ✓ بعث نواد ومهرجانات ثقافية تعنى بآلة العود على غرار مهرجان العود بساقية الزيت من محافظة صفاقس.
- ✓ إحداث مهرجان استخبار للموسيقى بصفاقس.

6- التوثيق الفوتوغرافيّ للعنصر





صورة 1 : وجه و قفا العود "التونسي" يشكله الكمثري و بصندوقه العميق والمميّز بأوتاره الاربعة المزدوجة.





صورة 2: طريقة مسك الريشة عند العزف على العود التونسي حيث نمسك الريشة بين إصبعي اليد اليمنى السبابة والإبهام ويتمّ إخراجها من بين إصبع السبابة والوسطى مع ضمّ باقي الأصابع بحيث تكون الريشة متعامدة مع الأوتار.



صورة 3: زياد عرسة أحد رموز المالوف في تونس أثناء عزفه على الة العود "العربي" باللباس التقليدي المميّز



فرقة الرشيديّة بحضور نخبة من الفنانين التونسيّين من المؤسّسين لمعهد الرشيديّة سنة 1934 أبرزهم خميّس ترنان وصليحة



صناعة العود في ورشة الآلات الموسيقيّة التابعة لمركز الموسيقى العربيّة والمتوسطيّة "النجمة الزهراء"

7-هويّة الشخوص المرجعيّة المعتمدة في استيقاء البيانات

- ✓ الغزالي رمضان استاذ تربية موسيقية بإعدادية وذرف (ولاية قابس)، الهاتف 53005735
- ✓ عاطف بوقطف استاذ تربية موسيقية بإعدادية محمد خير الدين بوعين بالمطويّة الهاتف 29586590
- ✓ محمد بالليل، استاذ تربية موسيقية بإعدادية الميدة، الهاتف 29860451
- ✓ محسن محمود أستاذ تربية موسيقية بإعدادية العهد الجديد بالمطويّة، الهاتف 97148590.
- ✓ أنيس المؤدب، أستاذ محاضر بالمعهد العالي للموسيقى.
- ✓ فاروق، عازف عود بفرقة خميس ترنان ببنزرت.

8-المصادر والمراجع

- المكتوبة

المراجع بالعربية

- قطاط، محمود، 2006، آلة العود بين دقة العلم وأسرار الفن، مسقط/ سلطنة عُمان، مطبوعات مركز عُمان للموسيقى التقليدية.
- محمد قوجة،"بين صناعة موسيقى المالوف وصناعة موسيقى السطمبالي، تداخل المقوّمات الابداعية والعوامل الاجتماعية في تكييف ملامح وآليات الظاهرة الموسيقية"، الهوية والابداع في الصناعات التقليدية، منشورات المعهد العالي للفنون والحرف بقابس، قابس 2005
- الكعاك، عثمان، 1982، الشيخ أحمد الوافي، تحقيق صالح المهدي، تونس، المعهد الرشيدي للموسيقى التونسية.

- اللواتي، علي وزغندة، فتحي، 1992، الآلات الموسيقية المستعملة بتونس، تونس، وزارة الثقافة، مركز الموسيقى العربية والمتوسطية النجمة الزهراء.
- المؤدب، أنيس، 2008، الثقافة الموسيقية بتونس خلال الفترة البونية والرومانية، تونس، دكتوراه بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس.
- الزواري، الأسعد، 2009، الطبوع التونسية من الرواية الشفوية الى النظرية التطبيقية,مراجغة و تصدير محمود قطاط، تونس، مركز النشر الجامعي .
- سفاين، المالوف التونسي، 2005، تونس، الدار العربية للكتاب، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث.

مراجع باللغة الاجنبيّة

- Ayari, Mondher, Lartillot, Olivier, 2009, « Segmentation of Tunisian modal improvisation : Comparing listeners' responses with computational predictions », in Journal of New Music Research, vol. 38, n°2, (CIM08 special issue), pp. 149-159.
- Hacher, Xavier, 2014, « Proposition théorique pour l'analyse de la monodie modale : Une introduction à l'étude du répertoire tunisien traditionnel », Les corpus de l'oralité, Paris, Delatour France, pp. 307–338.
- Hamdi Makhlouf ; Métamorphoses du Ud de l'organologie à l'espace compositionnel ; Edition Sotumedias, 1ère édition : Tunis - Juillet 2020
- Zouari, Mohamed Zied, 2014, Évolution du langage musical de l'istikhbâr en Tunisie au XXe siècle : Une approche analytique musico-empirique, Thèse de doctorat, Paris, Université Paris-Sorbonne, 307 pages

- السّمعيّة البصريّة

https://www.youtube.com/watch?v=cLDvQdnmZos
https://www.youtube.com/watch?v=lT_Jy2fELt4
https://www.youtube.com/watch?v=HhH3NNCj8qU
https://www.youtube.com/watch?v=cLDvQdnmZos
https://www.youtube.com/watch?v=RbegbO2DWkk
https://www.youtube.com/watch?v=s9acxwAzM5s
https://www.youtube.com/watch?v=xsS7Z7ppxW0&list=RDEM9HlG_OT65pju9mfEMk-Lsw&start_radio=1&rv=s9acxwAzM5s
https://www.youtube.com/watch?v=v4GTCqWY3Js
http://www.cmam.nat.tn/

- المواد الوثائقية المحفوظة في المتاحف والأرشيفات والمجموعات الخاصّة

يحتوي قسم الخزينة الوطنيّة للتسجيلات الصوتيّة التابع لمركز الموسيقى العربيّة والمتوسّطيّة النجمة

الزهراء على عديد التسجيلات الصوتية التى تعكس الهويّة الموسيقية للمجتمع التونسي وتتمثّل في:
- ✓ التسجيلات المنجزة بفضل حملات الجمع الميدانيّة وعمليّات توثيق العروض التي تقدّمها المهرجانات الدوليّة في البلاد التونسيّة.
- ✓ التسجيلات التجاريّة التي يقع وضعها في إطار الإيداع القانوني الخاصّ بالآثار الصوتيّة.
- ✓ الوثائق المسموعة الوافدة من الأرصدة الخارجيّة التي تملكها مؤسّسات وطنيّة وأجنبيّة، بالإضافة إلى الوثائق المكتسبة في إطار التبادل مع مؤسّسات مماثلة.

وعلاوة على ذلك يحتضن مركز الموسيقى العربيّة والمتوسّطيّة ورشة للآلات الموسيقيّة تعمل على نطاقين متساويين أحدهما مختصّ في صيانة الآلات الموسيقيّة التي يمتلكها المركز، أمّا الآخر فيعنى بإجراء البحوث في مجال علم صناعة الآلات الموسيقيّة.

9- معطيات تقنية حول عمليّة الجرد

- تاريخ البحث الميدانيّ ومكانه

أجري العمل الميداني خلال شهري نوفمبر وديسمبر 2023، وقد شمل عددا من المراكز الحضرية لعلّ من أبرزها تونس وبنزرت وتستور وزغوان وقابس، وذلك بالاعتماد على ممارسي العنصر وعلى عدد من الباحثين المختصين في العلوم الموسيقية.

- جامع أو جامعو المادّة الميدانيّة

د. عماد صولة / مدير بحوث
د. علي شمس الدين / باحث مختص في الأنثروبولوجيا الثقافيّة
رياض بالزاوية / محافظ مستشار التراث.
د. إسمهان بن بركة، مكلفة بالبحوث/ أستاذة جامعيّة.

- تاريخ إدخال بيانات الجرد

18 جانفي 2024.

- محرّر بطاقة الجرد

د. عماد صولة، مدير بحوث/ أستاذ تعليم عال.
رياض بالزاوية / محافظ مستشار التراث.
د. إسمهان بن بركة، مكلفة بالبحوث/ أستاذة جامعيّة. (تحرير الجذاذة باللغة الفرنسيّة).

- الإشراف العلمي والمراجعة

د. عماد صولة، مدير بحوث/ أستاذ تعليم عال.
د. إسمهان بن بركة، مكلفة بالبحوث/ أستاذة جامعيّة.

- تحيين بيانات الجرد

فيفري 2024.